الأمثال والحجايات المتداولة بحوز مراكش بحث ميداني وتقصي من خلال الرواية الشفوية

Proverbs and aphorisms circulated in the possession of Marrakesh, field research and investigation through oral narration

Rachid Selfouh - رشيد سلفوه

طالب باحث في سلك الدكتوراه

جامعة سيدي محمد بن عبد الله – فاس سايس-draah155@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/03 **تاريخ القبول: 2023/05/03**

الملخص:

أصبحت الدراسات في حقل العلوم الإنسانية معنية بإيجاد الحلول والاجابة عن انشغالات الانسان ورهاناته المرتبطة بالتنمية. ونعتقد ان للتراث دور محوري في ذلك، فالحجايات والامثال–وهي موضوع بحثنا–تشكل مادة ثمينة للباحث لفهم القواعد التي كانت تؤطر علاقة الانسان ببيئته، والمعارف والخبرات التي راكمها لتدبير موارده وتثمينها وتنظيم علاقاته الاجتماعية وانشطته الاقتصادية.

سنعمل في هذه الدراسة على عرض نماذج من الحجايات والامثال المتداولة بحوز مراكش مع تحليلها وابراز حدود تمثلها في الحياة اليومية بالمنطقة.

الكلمات المفتاحية: التراث؛ الامثال؛ الحجايات؛ حوز مراكش.

Abstract:

Studies in the field of humanities have become concerned with finding solutions and answering human concerns and stakes related to development. We

believe that heritage has a pivotal role in this, as arguments and proverbs - which are the subject of our research - constitute valuable material for the researcher to understand the rules that framed man's relationship with his environment, and the knowledge and experience he accumulated to manage his resources and organize his social relations and economic activities.
In this study, we will present examples of proverbs and proverbs circulated in the possession of Marrakesh, analyze them, and highlight the limits of their representation in the daily life of the region.
Keywords: heritage; proverbs; aphorisms; Haouz Marrakech.

01- مقدّمة:

الحجاية بناء لفظي شفهي أو مكتوب بأسلوب إيحائي تشحذ الذاكرة والمخُّيال، للتعرف على سلوكات وظواهر، وما توصل إليه الإنسان من تجارب ومعارف، تلامس طقوس وأنماط معيشة اليومي وأساليب تدبيره للمجال. أما الأمثال فقال عنها ابن منظور هي الشبيه والنظير على الإطلاق أو النسبية، فتكون المماثلة في جهة دون أخرى، و مثل الشيء أي صفته، وتمثل بهذا البيت إنشادا أي ضرب المعنى، وتمثل بالشيء أي ضربه مثلا واعتبر به، والمثل كذلك المقدار أو القالب الذي يقدر على مثله[1].

يستوقفنا مما ذكره ابن منظور أن الأمثال تأتي لضرب المعنى، وذكر صفة الشيء والاعتبار به والقياس عليه، ونرى أن هذه الوجوه تؤطر في الغالب ضرب الأمثال بين الناس فتتردد على ألسنتهم للتعبير عن أحاسيسهم وتدعيم أفعالهم وتبرير ممارستهم وتقويم عاداتهم[2]، وهي وليدة الحياة اليومية والخبرات الذاتية بالفنادق والحانات والحمامات وفي الحلقة[3]. بعض الأمكنة المذكورة كثر ترددنا عليها، إذ شكلت الرواية الشفوية مصدرنا الأساسي في جمع جانب من الأمثال والحجايات، بحيث من الناحية الجغرافية شملت زياراتنا مناطق من حوز مراكش[4] مثل الرحامنة ودكالة والسراغنة ومسفيوة وزمران والمنابهة وأولاد دليم ،وجرت خلال أيام وأوقات توافق السوق الأسبوعي وفترات تجمع الشيوخ[5] بجوار المساجد و بالحدائق و بجانب الطرق والدكاكين،وقد أفادنا ذلك كثيرا أولا بمقابلة الروايات والمقارنة بينها، كما أن تداول المثل الواحد بين أكثر من شيخ كانت تعقبه تعليقات تحيل على مدلوله ومغزاه، وفي نفس الوقت يثير ذكر المثل أو الحجاية تلو الأخرى حماسة الرواة ويساعدهم على التذكر.

ما جمعناه منها عملنا على ترتيبه ترتيبا أبجديا، وتحليل مادته ليس فقط وفق الشائع من مقاصد إيراد الأمثال والحجايات، ولكن أيضا بما ورد فيها من مفردات لأنها تشكل توثيقا فريدا لعناصر التراث الثقافي من وجوه عدة.

02- -نماذج من الأمثال المتداولة بحوز مراكش.

-اتاي العشية خير من بقرة مشوية.

-إلى مات باك توسد الركبة والى مات أمك توسد العتبة.

-ازرع لمليح تاكل منو.

-إلى شفتي المزلوط زربان اعرف مول الفلوس مسخرو.

-الاقتصاد فالكشينة يبني مدينة.

- إلى طاح الندى تطيح الشتاء.

-ازبرني فالليالي والا خلي ليا ديالي.

-اللي تجمع معاه فوق المائدة ما تدي منو فائدة ارفقتوا غير زائدة.

-اثبت خلي الزرع ينبت.

-اصرف اللي فجيب وربي يجيب ما فيه الغيب.

-آل الحراث الله يطول عليك النهار ويقصر عليك الليل.

-إلى جات الرعدة فالسمايم دير راس مالك بهايم.

-آجمل كلاع الضيم.

-إلى روات فبراير أما تصفيها من كل ضرايرأو تزيدها ضرايرعلى ضراير.

-اشكون داها فيك يا لعصيدة نهار العيد.

-الأرض ما تقنع من المطر والعين ما تقنع من النظر.

-بغا يكحلها ساعة عماها.

- اللي بغيتيه لجارك يجي لدارك.

-برايرتقاب الشرايروشواي الخمايروقطع الدخاير.

-بغا يهز الدجاج ما لقى غير العجاج.

-بين الغرزة والغرزة تنعس المعزة.

-بور أرضك يكبر حظك.

-برزقهم ربي الكتاف، وفاش كبر ردهم جفاف.

-بحال الشطابة المنحوسة لا جهد دارتو ولا شكرا داتو.

-اللي بغا النعجة، تصوع فالسمايم تولد فشتنبر.

- اللي بغا يشرب يقصد رأس العين.

-اللي بغا الكراب فالسمايم يصاحبوا في الليالي.

-اللي بغى الآخرة يسري واللي بغى الدنيا يسري.

-تعلموا الحجامة في رؤوس اليتامى.

-ثلاثة تات بيض الوجه: لفياق فالفجر ورفقة الأخيار وزواج الأبكار.

-جغمة من البحر ولا جميل الواد.

-جا يعاونوا في قبر باه هرب ليه بالفأس.

-جبنا القرع يونسنا، عر راسو وهوسنا.

-الحجام كاي تعرف بظفارو والسارح بتصفارو والفلاح بتمطارو.

-الحناية عورة والعروسة فيها بوتفتاف.

-الحرث بلا ماء فيه الندامة.

-حرت بكري خير من حرث ما زوزي.

-الحرث ما ضمن صابة، والزواج ما ضمن الأولاد.

-حرث بكري ولا سير تكري.

-حرثة قريبة ولا أمراة غريبة.

-حاول على حمارك تحج عليه.

-الحر حر والصنعة من انظر.

-حبة فوق حبة تكييل.

-حساب الشكارة إما بالربح ولا بالخسارة.

-حفر الساس مزيان باش يطلع لبني عالي.

-خدم يا صغراي لكبري.

-الخيل كاي يعرف مولاه والماء كاي يعرف مجراه.

-خلي الرا ولا بات برا.

-خبز الدار كاي كيلو البراني.

-اللي خشا راسو فالنخالة تاي نقبو الدجاج.

- اللي خاف من جوع ابريل يحرث فشتنبر.

-اللي خدام أحسن من واقف.

-دار البنات خاوية.

-دخلناه يشرب اللبن، بغا يشارك معنا الغنم.

-دوز على الواد الهرهوري ولا دوز على الواد السكوتي.

-دخلناه من القطر (المطر) بغا يشرك معنا البقر.

-درت الخاطر حتى اعييت، وهما ضحكوا وانأ بكيت.

-دير كلشي فالشبكة، شي يطيح وشي يبقى.

-الدار دار بونا واعبيد بانا طردونا.

-دارت الكنازة سبة وتركت لوسخ حتى أصبح حذية.

-الرابح من المرأة والخاسر من المرأة.

-الراجل بدراعو ماشي بمتاعو.

-الرجل بالهمة، أما اللحية راها عند العتروس.

-الرجل كلمتو عند فمو وغيروا حتى يشاور مو.

-رشان الماء عداوة واللي رشنا بالماء نرشوه بالدم.

-الراعي والخماس تاي دابزوا على رزق الناس.

-راك لابس سلهام وأعمامة وأنت قليل الفهامة.

- اللي راكب فوق أجمل ما يخاف من الكلاب.

-الزرع من الزرع والحليب من الضرع.

-الزين فينا سلالة من العمة للخالة.

-زغرتي يا موكة بلارج دار العرس.

-سلف يوم من براير يخلي زغب المعزة كاي يطاير.

-سكات حكمة منو كاي تفرقوا الحكايم.

-سعد السعود كاي يربط كل عود.

-سعد السعود تخرج الحية والقنفود.

-سعد الاخبية تخرج كل من هية مخبية.

-الساقية ما كات تجري قدام الواد.

-اللي سبقك بالسقا سبقوا بالنقا.

-الشابة زينة وما عرفاش العجينة.

-شري لدارك وطبيب ولا تأكل من السوق ولو كان مسيب.

-الشيخة اللي ما تعرف شطيح تقول الأرض عوجة.

-شوف الزين منين يفيق من نعاسو قبل ما يغسل وجهو ويمشط راسو.

-صاحب السوء إلى ما حرك الوجه يكحلو.

-ضاف لدار ثمن الجار.

-ضربة بدمها ولا كلمة بسمها.

- الطالب يطلب ومراتو تصدق.

-عشرة ليهود على قنفوذ وما ذبحوه.

-عند الشرط يبان الحرث.

-العود هازوا الماء ويسحابوا راكب.

-على قدر فراشك مد رجليك.

-العبود سبق المعبود.

-اللي عندو القمح كاي يتسلف الدقيق.

-عزيز النفس يعطي الحق ما يطلبو.

-العيساوي ما يونس دارو.

-عفا الله على سوق لغزل حتى دار الدفة ولقفل.

-العشق المزروب كلو عيوب.

-غبار الصبة عول عليه باش تبدأ.

-غير الهوا راه أحسن من الدوا.

-الغرس حدو مارس.

-الفقيه دحمان شد لبرا سبع أيام وقال لهم الحظ عيان.

- فين كاي كثروا لدين تاي تخلط الماء بالطين.

-الفلاحة من الماء والماء من الإيمان.

-الفم المزموم ما يدخل ليه دبان.

-الفياق بكري بالذهب مشري.

-اللي فاتك بالغنم فوتو بالفحل.

- اللي قرب عند الحداد تاي تحركو ليه حواجبو.

-قيس قبل ما تغيص

-قبر الزرع قريب.

-قبل مات تشد الطريق حرص على الرفيق.

-قبل ما تخطب وجد الماء والحطب.

- قلب وشمس بلادك تشبع أولادك.

-اللي قال العرس ساهل اسقي ليه ماه/ وقيل يجمع ليه حطبوا.

-قليل ومداوم ولا كثير ومقطوع.

-كون ما كمكم ولد الحمامة كاع ما يجيه الحنش الهايم.

-كون كان الخوخ يداوي كون دواء راسو.

-كلامو بحال السم في العسل.

-كثرة جيب جيب تاتخوي أجيب.

-الكاس بلا رزة بحال لخروف بلا دزة.

-كل مع أخيك وأحض من أخيك لا يدي ليك لحوييك.

-كاي يحكم بالإبرة ويضرب بالإبرة.

-اللي كنزو فلوس يحج ولا يتزوج ولا يهدم دارو.

-لو كانت الصفيحة ترد العار كون رداتو على الحمار.

-لقرع بفلوسو جيب داك الرأس نبوسوا.

-الليالي المسعودة تنزل فيها الشتا بالليل وبالنهار تصبح مفقودة.

-لا تضرب حتى تقرب ولا تصاحب حتى تجرب.

- الله يرحم من مات وخلا.

-اللي ما شورك في السفر لا تحمده على السلامة.

- اللي ما عندو نار يتسلفها من جارو.

-اللي مشى للبيع عول على الربح والخسارة.

-مول التاج وكاي يحتاج.

-مدح خوك مع الناس، ولومو الرأس فالرأس.

-المرأة بلا ولاد بحال الخيمة بلا وتاد.

-مناش غرستي تاكل.

-الماء ويا الماء الماء نعمة وي لا خطاك الماء راك تعمى.

-الماء بلا شرا والقبلة بلا كراء وترك الصلاة علاش؟

-مشات عشية تجيب القزبر جات حاملة من سبع شهر.

-الماء والنار ولا امرأة الولد في الدار.

-المعروض فنهاروا يبقى في دارو.

-ما كاي ينسي البنت في أمها غير همها.

-واعر تربي الكليان وساهل تطلق منهم.

-وجه الشارفة ما يخفى ولو تحكوا بالحلفة.

03-: الحجايات بحوز مراكش.

ح[6]- انا من السما نزلني ربي العالي كننزل فالشتوة وفعز الليالي، وعمرت ويدان وغذيت عيون في الجبال. (الثلج).

ح- أنا من الداخل وما لقيتش كيف ندخل. (المرأة).

ح- على اللي إلى ما ترقتيه ما يمشي. (المسمار).

ح- بير فوق بير، طويلة ومسرارة، حتى صياد ما تخطاه، بلا بها الحوت ما يلقاه. (القصبة).

ح- على الباء والبا مدور يا ناس، فيه جوج حبال بالقياس وجنابوعود وكرشو جلود (البندير)

ح- على بنت المير الساكنة فالغدير عينيها مبلكين وفمها كبير. (الضفدع).

ح -على لي بادي بالنون والنون ولد لغزال يغلب النسا والرجال ويهبط الطيور من فوق الجبال. (النعاس).

ح-على اللي تبدأ بالسين والسين عندها شلا يتامى أمهم في الجنة وباهم في جهنم. (الصينية والكيسان والرابوز).

ح- اللي تا تاكل وما تشبع ولاشربت تموت. (النار).

ح- على لي تمشي بلا رجلين وطير بلا جنحين وتبكي بلا عينين. هي (السحابة)

ح- على ثلاثة وقوف والرابع منتوف والخامس يضرب ويشوف. (الشكوة).

ح- على ثلاث أخواتات مشابهات وحدة في السماء علات ووحدة في الأرض غبرات وحدة تلعب فالطلحات. (الرمانة والبصلة والكرة).

ح- على جوج وصلوا للواد وحشمو. (بلغتان).

ح- على الجيم والجيم من جبل لجبل لباسها جميل ومسلكها واحد ومخارجها ثلاثة. (الجلابة).

ح- على جماعة خوت مجموعين فالحانوت اللي خرج يموت. (عود الثقاب).

ح- على جدي فدكانتو يأكل من مصرانتو. (القنديل).

ح- على جوج خواتات وحدة حابسة وأخرى تكسر اليابسة. (الرحى)

ح- الحاء ما تقول حوت ما تقول حمامه دخل الماء يموت ويلا خرج منوا يموت. (الحناء).

ح- على الحا والحا حمراء فالبنات وخضرة فالبنات. (الحناء).

ح- على الحا ولد النبي بدمو فدى، منو فراش ومن غطى، ومنو كسا ومنو غداء. (الحولي).

ح- على الخا والخا بنت الخاء بالضرب تزداد وتكبر بالتصرفيق وتموت بالقريص. (الخبزة).

ح-على اللي خنقوه قبل ما يذبحوه. (الحبل السري).

ح- سمطة حمرة ما تبكي ما تشكي صبارة على هموم الدنيا. (الأرض).

ح -على اللي رجليه من الحطب وراسو من الذهب. (القمح).

ح- راه راه والغوت وراه. (السلوقي كلب الصيد)

ح -على اللي زينها ظريف وأولادها يتنزهوا في كل ريف. (الصينية)

ح- على السين يشبع نهار فالسيمانة ويجوع بقية الأيام. (السوق الأسبوعي).

ح- على سطل الماء معلق في السماء. (المطر).

ح- على شي حاجة إلا ذبحتها تبكي. (البصلة).

ح-على الشين والشين عروسة زينة وزينها وتاها جاها المرض وسكنها حتى داها. (الشمعة).

ح- على الشيش والشين بلاها ما يكون لا زيت ولا زيتون. (الشمس).

ح -على شهر إلى حذفتي أول هرب. (صفر).

ح- صوتوا صوت التراس وهو قد المهراس/ المهراز. (الديك).

ح- على اللي طولها طوال وما عندها خيال. (الطريق).

ح- على طيها طي كتاب ولونها لون التراب (وقيل لون الغراب). (الخيمة)

ح- على اللي طويلة ومسرارة وداروا منها ليرة.(القصبة).

ح- على صندوق باجة وفيه حاجة. (التلفاز).

ح- على اللي عيونها ماشي لشوف وكرشها يعيشوا منها أولوف. (الشبكة).

ح- على اللي عطاه ربي الحق على المرأة ودارو غطا لراسها ونقرة فين يغبر نحاسها ويعلا شانو حتى يعيا وتلقى وراه امراة. (الرجل).

ح- على اللي عينيه كحلة ومحرفة،عاطي ظهرو لتمارة وهو مول العناد، ويلا جيتيه للطاعة ما تغلبوا. (الحمار).

ح- على غنمنا قطيع كبير والحساب ما تحسبوها والى مشات تعرفوها. (المنجج)

ح- على اللي قدها قد لحجاب واللي في كرشها بلا حساب. (الرمانة).

ح- على القاعد مربع والخير يجيه، الكلام ما يتكلم والحق يعطيه. (الميزان).

ح- على اللي قدو قد خاه وما صاب يلقاه. (الحائط).

ح- قاها قاها يا مزين ملقاها محرومة اللحم يتكال لباها. (النحلة) وقيل كذلك ياها ياها يا مزين لغاها يا محرومة اللحم ويتكال لباها.

ح- على اللي كاي ياكل وما كيشبع. (النار).

ح- على لي كثير لعيون قليل النظر رزقو قدامو وهو ميت بالشر. (الغربال).

ح- كلبتنا الهبهابة تخرج السبع من الغابة. (المشط).

ح- كرشو عود وظهرو عود وجنابو جلود ومنقارو فجهنم ممدود. (الرابوز).

ح- على اللي كات تسمى بالسين ولادها 60 قدها قد الدورو ومصارنها كيدوروا (الساعة).

ح- على اللي كون يعطيوك لخيار تختارو قبل الدار، كان جديد ولا قديم لازم نسول فيه وتحي معاه صلة الرحيم، وصاو عليه وقالوا هو قبل الدار. (الجار)

ح- على اللي كان يكون اخضر في الأرض وكحل في السوق واصفر في البيت. (الشاي).

ح- على اللي كايبدا بحرف السين ما هو سلسلة ماهو سكين ولادو12 وحفادو360. (السنة).

ح- على كمشة الصوف تبات تشوف. (الكلب).

ح- اللي كاتجي حتى لباب الجامع وكات تحشم. (البلغة).

ح- على اللي كان يديك حتى لخلاء وكاي قجك .(العطش).

ح- على اللي كان ملكوه ولكن غيرنا كاي يستعملونا كثر منا. (الاسم).

ح- على كمشة المرجان متفرقة بين الجبال ما يوصل ليها غير زعيم في الرجال. (العلم) .

ح- على اللي كات تاكل من روحها ودير الخير في الناس. (الشمعة).

ح- على اللي كاي يحيا أول الشهر ويموت في أخره. (القمر).

ح- على لي كاتبدا بالكاف والكاف نزلت في بلاد التوحيد فدات رقبة وماتت في نهار فريد. (كبش فداء إسماعيل).

ح- على اللي من الفوق لوح ومن تحت لوح ومن الوسط روح. (السلحفاة).

ح- على اللي قدها قد الدبزة وفاتت السلطان في اللبسة.(البصلة).

ح- على اللي قدو قد الفلوس ويتدبح من جوج ريوس. (الهندية).

ح -على اللي منو القاع والغطى يجمع القفة مخلطة ويبغي الخضرة مقرطة والقزبور قبطة والمعدنوس ربطة أنا زين البنة والمنظر فالحطة. (الطاجين).

ح- على لكيمة فوق عويد. (فاكهة التين).

ح- على لوني لون الصفا بيا تطفى العداوة، وأنا والتمر خاوة، مع الدري الصغير يكبر ويداوا. (الحليب).

ح- على اللام واللام كديدة فالغار ما تيبس ما تخضار. (اللسان).

ح- على اللي لحمو رخيص ودمو غالي. (حب الزيتون).

ح- على المبدية بالميم، والميم بالحديد حيدو منها كبادها ورما فيها أولادها. (المطمورة).

ح- على منديلي مرقوم يوصل حتى لبلاد الروم. (الرسالة).

ح- مطمورتي بين الجبال ما عرفتها لا حمص ولا جلبان. (الكرش).

ح- مدينتنا حمراء سوارها خضراء وسكانها عبيد وسوارتها من الحديد. (الدلاحة).

ح- على اللي ماتت وسال دمها وبقات تخدم على الناس طول حياتها. (الشكوة).

ح- على الميم والميم في كل بيت موجودة ومن الماء مأخوذة. (الملح).

ح- نانة مريش داير بيها الريش تعطيني مال الدنيا و ما نفرط فيها. (العين).

ح- على هاتو بن هاتو صاب لغذا فاتو وبدا يندب فحنيكاتو. (القرشان).

ح- على الواو والواو قد لبرة قياسها، الناس كتهرب من البلاء وهي حطاه على راسها. (الوقيدة).

ح- على وحدة بناها البكري وسقفها العتروس. (البلغة).

ح- على اللي واقف على رجل وحدة وليه ثلاثة عيون. (إشارة المرور).

ح- على اللي يضل مكسي ويصبح عريان. (المغزل).

ح- على لي يدوز من الما وما يتفزك. (الظل- وقيل الجنين)

04-: دراسة وتحليل للأمثال والحجايات بحوز مراكش.

وردت الأمثال والحجايات المذكورة في ضروب وسياقات مختلفة، وسنركز في البداية على ما ذكر منها بشان الخيمة، لأنها تشكل القاعدة الأساس المؤثرة في التراث الثقافي بعناصره المختلفة. أولا كشكل للسكن إذ قيل فيه "طيها طي الكتاب ولونها لون الغراب" وتشير الحجاية إلى أمرين هامين فالطي يحيل على نمط العيش وكثرة الترحال بحثا عن الماء والكلأ واللون يؤكد أن السواد الأعظم من الخيام كان ينسج من صوف الشاة قبل أن يتحول الكثير منها إلى نوايل ثم إلى دور عبارة عن سكن صلب.

داخل الخيمة توزعت الأمثال والحجايات على مرافقها المختلفة وما يقع فيها من ممارسات وطقوس بالمطبخ "الكشينة"، بلوازمه كالحطب "الماء والنار ولا أمراة الولد فالدار"، فالمثل يأتي ضمنيا على ذكر أهمية الماء والحطب[7]، وتشتد الحاجة إليه في فترات كفصل الشتاء وفي مناسبات كالأعياد والأعراس "اللي قال العرس ساهل يحطب ليه

عوادو"، فهو المصدر الأساسي للنار "اللي كاتاكل وما كتشبع"، وابتكر الإنسان تقنيات وأدوات لإيقادها، مثل عود الثقاب "حاجيتك على أجماعة خوت مجموعين في الحانوت ولي خرج منهم يموت"، وقيل كذلك "حاجيتك على الواو والواو لبرة قياسها الناس كتهرب من البلاء و هي حطاه على راسها"، والرابوز اللي كرشوا عود وظهرو عود وجنابو جلود ومنقارو فجهنم ممدود".

طقس إيقاد النار بحوز مراكش كان يتم وفق رواية Doutté في الصباح الباكر، لإعداد الماء والحساء[8]، بعد جلب الحبوب مثل الشعير والقمح "اللي رأسه من ذهب ورجليه من الحطب"، وطحنها بالارحاء حاجيتك "على جوج خواتات وحدة حابسة وواحدة تكسر اليابسة" ثم غربلتها بالغربال المعروف بالمرزاق "رزقو قدامو وما شافوا" ورمزيته تحيل على حالة الموسم ومقدار الصب أو الجذب، ويعد من الطحين المقروص أي الخبز "تزاد بالضرب وكبر بالتصرفيق ومات بالقريص".

تتوزع الأنشطة والمهام بين أفراد الخيمة على طول اليوم، ولكل فترة طقوسها الخاصة، فحينما تعتدل الشمس في ارتفاعها، تجتمع الأمهات والعرائس والجدات والأحفاد حول الصينية والطاس، فقيل عن الأول" ما يدوم لا طاس ولا يدو ولا الخادم اللي تشدو[9]" وذكرت الصينية في أمثال وحجابات كثيرة " اللي زينها ظريف أولادها يتنزهو فكل ريف"، الحجاية تحيل على سعة الخيمة "الدار الكبيرة"[10]، مجمع العائلة والجار والضيوف والزوار من قبائل مختلفة "أولادها يتنزهو في كل ريف"، وتفيد أيضا بان الصينية مكون أساسي في طقس النزاهة بمناطق الحوز خاصة في فصل الربيع، بإعداد كؤوس من القهوة والشاي بعد أن شاع استهلاكه بالمغرب[11]، وقيل عنه " ح على اللي كاي يكون اخضر في الأرض وكحل فالسوق واصفر في البيت".

نستطيع من خلال هذه الوقفة من صباح كل يوم، أن نستطلع أخبار الدوار، وما يقع بالعراصي واجنانات وبعض العزائب و بجوار الابار والعيون، وأيضا تحدد فيه طبيعة المهام والأنشطة وتوزيعها في الفترات المتبقية من اليوم، كإعداد الحليب ومشتقاته مثل اللبن في ركن معروف يحتل حيزا من المطبخ، أو تحت السقيفة، يوثر له بقطع من الخشب قيل عنها في الحجاية "ثلاثة وقوف والرابع منتوف والخامس يضرب ويشوف" والمنتوف كناية عن جلد الماعز الذي يصنع منه وعاء الحليب المعروف بالشكوة "اللي ماتت وسال دمها وبقات تخدم على الناس طول حياتها". تقوم الجدات في المقابل بإعداد الصوف بأدوات خاصة مثل القرشان "هو هاتو بن هاتو صاب الغدا فاتو وبدا يندب فحنيكاتو" والمغزل "اللي كايضل مكسي ويصبح عريان" وتكبب خيوط الصوف وتلفف استعدادا لطقس المنجز " اللي غنمو قطيع كبير الحساب ما تحسبوه والى مشات تعرفوه".

بعض المهام تمتد إلى الليل و تزيد فيه الحاجة إلى وسائل الإضاءة ومصادرها المختلفة، مثل الشموع قيل عنها " ح على الشين والشين عروسة زينة، وزينها وتاها، جاها المرض وسكتها حتى داها" والقنديل "ح على جدي في دكانتو يأكل من مصيرناتو" وذكر الأصول من الأجداد والجدات في الأمثال والحجايات يؤكد على العطاء والبدل لتتشكل العائلة الممتدة بالخيمة الأم ثم بالدويريات، وان هذه الأركان يجتمع حولها الكبار والصغار لتستنير بقواعد ترشيد الجهد والموارد ولكي تنجح المبادرات والأعمال الممتدة خارج الخيمة، ومن جملة هذه القواعد:

- الحرص على استمرار النسل وكثرته "المرأة بلا ولاد بحال الخيمة بلا أوتاد".

- حسن تدبير الموارد والاعتماد عن الذات وبذل الجهد فقيل في ذلك الرجل بدراعو ماشي بمتاعو، و"قليل ومداوم خير من كثير ومقطوع" والاقتصاد في الموارد ينمي الثروة "ارتى على ما فالكشينة راه يبني مدينة" ولا يعني ذلك قهر الذات بالتقشف والحرمان، فقد ورد كذلك "اصرف اللي فجيب ربي يجيب ما فالغيب".

- حسن اختيار الجار والمعرفة بطبائع الناس: فأكدوا على أهمية الجار بحجايه في صيغة سؤال "شكون اللي كون عطاوك تختار تختارو قبل الدار" ففي حسن الجوار خير وبركة "اللي جاور لجواد جاد بجودهم". فهم الاساس ومنطلق الصحبة ودوامها، وتتسع دائرتها إلى الجار البعيد وعموم من تمتد إليه معاملات أفراد الخيمة، إذ يلزم ذلك تقصي أحوالهم وحقيقة أخبارهم "ما تصاحب صديق حتى تعرف اخباروا".

- حسن التوجيه والإرشاد والنصيحة: "امدح خوك مع الناس ولومو الرأس فالرأس"، على أن ينهض بهذا الدور أصحاب الشأن والأهلية ويدخل في هذا الباب التشاور في أمور الخيمة "اللي ما شاورك في السفر لا تحمده على السلامة".

- الحرص على التعاون بين أفراد الخيمة "فين تاي يكثروا اليدين كاي يتخلط الماء بالطين" ومفردات المثل تحيل على أهمية العمل الجماعي في بناء الدور وحفر الآبار ومد السواقي، وأيضا الحرث والحصاد.

- توجيه الزيجات وإخضاعها لقواعد: بحسن الاختيار للبنت والولد فقالوا في ذلك "اختار لولدك الأصل واختار لبنتك الرجل" وان كان من العائلة أفضل "اللي يتزوج من دمو بحال إلى عيد من غنمو".

ووضعوا أيضا من خلال أمثالهم وحجاياتهم قواعد لاختيار العروس باتخاذ الوسائط للتحقق من سلامة الجسد وجمال الهيئة "شوف الزين منين افيق من نعاسو قبل ما يغسل وجهو ويمشط راسو" وقيل أيضا "قبل ما تشري العودة شوف بناتها" وفي نفس المعنى "حل عينيك قبل ما تخطب أما إلا تزوجتي غير سدهم".

تحفل بعض الأمثال والحجايات ببعض أدوات الزينة التي تؤكد عناية النساء بمنطقة الرحامنة بجمالهن، كوجود المرآة" انا من الداخل وما لقيت كيف ندخل" والمشط "هي المبدية بالشين والشين هبهابة تخرج الحلوف من الغابة" أي تخرج وتنظف الشعر من الطفيليات كالقمل وتشير الرواية الشفوية إلى عهد قريب (أواخر عقد الثمانينات من القرن العشرين) إلى الطرق المختلفة لمعالجته كاستخدام الزيت والصابون والكافور وحلق الرأس بالنسبة للرجال.

تتجسد الزينة أيضا من خلال طقس الحناء في مناسبات كالخطبة أو الزواج والختان وخلال بعض الأعياد، وقد قيل عنها " ح على الحاء والحاء خضراء في النبات وحمراء في البنات" و تشير الحجاية إلى رمزية العبور من العزوبة إلى الزواج ومن خيمة الأب إلى دار الزوج.

غير أن تجميل المرأة ليس كل ما في الأمر في إعداد البنات، بل يفترض كذلك اطلاعهن على شؤون البيت وتنظيف مرافقه، والتفنن في أمور الطبخ فقد قالو في ذلك "العروسة زينة ما عرفتش لعجينة" والأمثال في هذا الشأن تشير إلى وعي بقواعد الصحة والحرص على أن تكون الخيمة موضع الغذاء، ومصحة للشفاء " اشري وطيب فدارك ولا تاكل من السوق ولو كان مسيب".

– الحرص على حماية المكانة الاعتبارية للخيمة : بجعلها في مقام الزاوية يجد فيها القاصي والداني مقصده وحاجته[12] "اللي بغا يشرب الماء يقصد رأس العين" إذ يؤم الناس إليها في المأكل والمشرب والمبيت والزيجات، والبيع والشراء، وطلب العون وقت الضيق، وتحتفظ الرواية الشفوية بأسماء عدد من الخيام بالرحامنة نهضت بهذا الدور، مثل خيمة أولاد سيدي عزوز وخيمة أولاد سيدي احمد ومحمود، وخيمة سيدي احمد بلفضيل بناحية سيدي بوعثمان ،و التنافس بين هذه الخيام خضع لضوابط تراعي طبيعة التوازنات التي تحكم المجال، فقد قيل في ذلك "مد رجليك على قدر فراشك" و"الساقية ما كات تجري قدام الواد"، ومحددات هذا التراتب وتنظيم الأدوار متداخلة، تستند في جانب منها كما ذكرنا إلى الرصيد الرمزي وتمتد كذلك إلى الممتلكات من بلادات وعراصي واجنانات وقطعان ومراعي.

وردت مجموعة من الأمثال والحجايات في باب الرعي وبعض الحرف، ويبين بعضها حدود اعتبار الرحامنة بالمثل في تدبير المجال ونقدم في هذا الصدد مثالين الأول تردد في الرواية الشفوية حول مجال الحدرة بين الرحامنة والسراغنة، فكل منهما يدعي حقه فيه، وان وجود الطرف الأخر كان من باب تبادل المنافع وتشارك المصالح "دخلناه يشرب اللبن بغا يشارك معنا لغنم" وقيل أيضا "دخلناه من لقطر بغا يشرك معنا لبقر".

خلال النصف الاول من القرن العشرين، نلاحظ من خلال أرشيف بعد المحاكم[13] حرصا على توثيق بعض المعاملات بين الرحامنة أفرادا وجماعات مع جيرانهم من السراغنة وزمران ومسفيوة، وهي عبارة عن عقود رهن وكراء وشركة في الزراعة والرعي والمياه.

من المرجح أيضا الاعتبار بالأمثال في تدبير الموارد خاصة المياه، "مول الطاحونة والسانية والمرأة الثانية حتى ليلة ما يباتها هانية"، إذ نسجل تنبه الرحامنة لحسم الخلاف مع جيرانهم في الحقوق المرتبطة بالماء بحوض غدات مع زمران، وبحوض واد الحجر مع مسفيوة، للحصول على مياه لإدارة طاحونة على ساقية (ساقية الطويحنة) الطالع براها من وادي الحجر، هذه التوافقات بين الرحامنة وجيرانهم بنيت على مقومات حيوية وصيغت وفق أسس سليمة، إذ لا تشير النصوص الإخبارية والرواية الشفوية إلى نزاعات بعد التوافقات المذكورة ولم ينطبق عليها على الأرجح المثل القائل "محبة ضربانة مفرقة فنهار" .

وعلى كل حال إن جانبا من الأمثال والحجايات المذكورة ارتبطت بالخيمة وبقواعد تأسيسها وتدبير اختياراتها، المتصلة بالمسكن والجار والزواج وطقوس الأعراس وأنماط عيش الإنسان كالزراعة والرعي والحرف، ونشير أننا وقفنا على بعض الحجايات والأمثال تحيل على سلوكات مخلة بالآداب، ويمكن إدخالها في خانة "التراث المنبوذ" وننبه إلى أهمية جمعها وتوثيقها، لأنها تشكل مصدرا مهما لتأصيل وفهم مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي أصبحت اليوم تؤرق الأسرة ومختلف الأطراف المتدخلة في تهذيب السلوك.

05- الخاتمة:

على كل حال إن جانبا من الأمثال والحجايات المذكورة ارتبطت بالخيمة وبقواعد تأسيسها وتدبير اختياراتها، المتصلة بالمسكن والجار والزواج وطقوس الأعراس وأنماط عيش الإنسان كالزراعة والرعي والحرف، ونشير أننا وقفنا على بعض الحجايات والأمثال تحيل على سلوكات مخلة بالآداب، ويمكن إدخالها في خانة "التراث المنبوذ" وننبه إلى أهمية جمعها وتوثيقها، لأنها تشكل مصدرا مهما لتأصيل وفهم مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي أصبحت اليوم تؤرق الأسرة ومختلف الأطراف المتدخلة في تهذيب السلوك.

06- المصادر والمراجع:

-أمثال شعبية مغربية في شؤون الحياة الاقتصادية، مجلة دعوة الحق، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد 110.

-السبتي عبد الأحد ولخصاصي عبد الرحمن، من الشاي إلى آتاي العادة والتاريخ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999.

-الساعاتي سامية، الابداع في المثل الشعبي، تحليل اجتماعي لبعض الامثال العربية، ورد ضمن كتاب التراث والتغير الاجتماعي، القاهرة، ط1، 2002، ج2.

-العطر عبد الرحيم، تحولات المجال القروي أسئلة التنمية المؤجلة، طوب بريس ط 1، 2009.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ج11، ص110 - 613.

-Doutté Edmond, **Marrakech**, Paris 1905.

-Pascan Paul. Le Haouz de Marrakech, Rabat, 1977, T – 1et 2

7. الهوامش:

[1]-ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر بيروت ص610 - 613.

[2]-الساعاتي سامية، الابداع في المثل الشعبي، تحليل اجتماعي لبعض الامثال العربية، ورد ضمن كتاب التراث والتغير الاجتماعي، ج2، ط1، القاهرة، 2002، ص312.

[3]- أمثال شعبية مغربية في شؤون الحياة الاقتصادية **مجلة دعوة الحق**، عدد 110.

[4]- من اهم الدراسات لحوز مراكش نشير الى:

-Pascan Paul. Le Haouz de Marrakech, Rabat, 1977, T – 1et 2 .

[5]- وهم في معظمهم من أهل ألزراعة والرعي، وبعضهم حرفيون أو مياومون. بلغ عددهم 25 راويا.

[6]- تعني حاجيتك

[7]. يحيل المثل على تأويلات بشأن حدود اندماج العرائس في بيت الزوجية، وما روي عن علاقة الزوجة بالعكوزة، من قبيل "اللي كاي عملوا ابليس في عام كات عملوا لعكوزة فساعة".

[8] - Doutté Edmond, **Marrakech**, Paris 1905 ,p157.

[9]. يشير المثل إلى قدر المخلوقات وأنها إلى زوال، وتوثق مفرداته ضمنيا إلى العبيد كفئة اجتماعية نهضت بأدوار اجتماعية واقتصادية وسياسية مهمة أشرنا في الفصل الثاني إلى جانب منها.

[10]. حول المدلول السوسيولوجي للدار الكبيرة راجع: العطر عبد الرحيم، **تحولات المجال القروي أسئلة التنمية المؤجلة**، ط 1، طوب بريس، 2009، ص84 - 90.

[11]. حول الموضوع انظر: السبتي عبد الأحد ولخصاصي عبد الرحمن، **من الشاي إلى آتاي العادة والتاريخ**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.

[12]. تطلق لفظة الزاوية على بعض الخيم اعتبارا لأصول أهلها وقربهم للصلاح والاولياء، وللأدوار التي نهضوا بها لخدمة الفقراء وأصحاب الحاجات وعابري السبيل، مثل زاوية لالة بروك بعزيب جزولة ناحية سيدي بوعثمان.

[13]. وثائق بحوزتنا، من محكمه قضاء الأسرة بقلعة السراغنة، ومراكش، وابن جرير.